فمن خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم نافقهم ومن نافقهم استحق الدرك الاسفل من النار قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار

قال الشافعي رحمه الله تعالى من احب ان يفتح الله قلبه بنور الحكمة فعليه بالخلوة وقلة الاكل وترك مخالطة السفها وبعض العلما الذين ليس عندهم انصاف ولا ادب

وعنه صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه مختصر الاحيا اختلف الناس في ذلك فقال الفقها هو علم الفقه وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة وقالت الصوفية هو علم الاخلاص وافات النفوس الى غير ذلك من الاقوال التي ليس فيها قول مرضي والصحيح انه علم معاملة العبد لربه والمعاملة التي كلفها العبد على ثلاثة اقسام وهي اعتقاد وفعل وترك

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ازهد الناس من لم ينس القبر والبلا وترك افضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نزل النور في القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله

فعلى العاقل الكيس ان لا ينسى الموت ونزول القبر ووحدته وظلمته ووحشته وان يتاهب للموت ويستعد للقائه من قبل هجومه عليه بغتة وهو عنه غافل فمن احتدت بصيرته بالغ في السعي في اخذ الزاد وجد واجتهد بتحسين زاده من قبل رحيله الى الدار الاخرة وان يتعامى عن الدنيا ويعوفها ويكره لذاتها وزينتها لان التخلي عن زينة الدنيا والتحلي بقصر الامل يوجب محبة الله تعالى ومن احبه الله انعم عليه بكل طول ونجاه من كل هول فمن علامة محبة الله خروج العبد من الدنيا قبل خروجه منها وهذا هو نهاية الزهد في الدنيا

قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله

فعلم من هذا البيان ان الانسان بعد الموت لم يكن عدما صرفا بل يسمع ويبصر ويحس ويذوق ويشم ويعقل وهذه الاشيا لا تنقطع ولا تفارق الميت ابدا بل انما الموت هو سبب انتقال العبد من حالة الى حالة اخرى ومن عالم الى عالم اخر ومن وطن الى وطن اخر فاما ان يكون في نكد وهم وغم ونكد وشرود واما ان يكون في رغد وفرح وسرور الى ان يبعث من في القبور

فمن عرف هذا العرفان هان عليه الزهد في الدنيا وتركها وراء ظهره واقبل بقلبه على مولاه وقطع عنه العلايق والعوايق وفارق ارادات نفسه وعاداتها وقطع عن قلبه كل شي يشغله عن الله واقبل على خدمته

دخلوا على بكر ابن عبد الله في مرض موته يعودونه فقالوا ادع الله لنا فقال رحمه الله من اشتغل بطاعة ربه مع دوام ذكره الى ان يلقاه قبل ان يصير الى منزل خالي غدا

وهذا تدري اولياء الله واهل محبته ومعنى قلبه لا يغفلون عن الله لحظة ولا تاخذهم عنه فترة حتى وهم في حالة الموت والاحتضار مشغولون به لا يشغلهم ما هم فيه عن الله

فالكيس

فالكيس العاقل ان لا يكون موقد التسويف وطول الامل على نفسه بل يتيقظ وينتبه من غفلته وان يغتنم اوقات عمره العزيز القليل من قبل ان ياتيه الموت بغتة ويهجم عليه بغفلة فيقول حينئذ يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله يعني من طاعة الله وخدمته وعبوديته وغفلتي عنه

كتب يوسف ابن اسباط رحمه الله تعالى الى محمد ابن سمرة اياك يا اخي وتامير التسويف على نفسك وتمكنه من قلبك (اي بالتسويف) فانك تؤول الى التلف فيه تقطع الاجال وتكذب الامال فان فعلت ذلك اجتمع عليك هواك ولا تنفع نفسك فبادر يا اخي واسرع فانه مسرع بك والاجد تيقظ من غفلتك وتذكر ما اسلفت وقصرت وفرطت وجنيت فانه مثبت ومحصي عليك كانك بالموت قد بغتك فعليك بالحيا من الله والمراقبة والعزلة فان السلامة في ذلك موجودة وافقنا الله واياك لارشد الامور ولا قوة بنا وبك الا بالله

ويحك يا احمق الى متى وانت تقول افعل اليوم كذا وافعل غدا كذا وكذا وافعل بعد غد كذا وكذا وكذا ويحك يا احمق فبينما انت في مللك البعيد فلانت الا وقد هجم عليك اجلك القريب ويحك يا احمق اغفلت غم سفرك البعيد ونسيت الموت القريب ستندم حين لا ينفعك الندم

كان حامد القيصري رحمه الله تعالى يقول كلنا ايقنا بالموت ولم نر له مستعدا وكلنا ايقنا بالجنة ولم نر لها عاملا وكلنا ايقنا بالنار ولم نر لها خايفا الموت اول وارد يرد عليكم من الله بخير او بشر فيا اخوتاه سيروا الى ربكم سيرا جميلا

قال المزني رحمه الله تعالى دخلت على الامام الشافعي رحمه الله تعالى في مرض موته فقلت له كيف اصبحت فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولكاس المنية شاربا ولسوء عملي ملاقيا وعلى الله عز وجل واردا فلا ادري روحي الى الجنة تصير فاهنيها اما الى النار فاعزيها

ومن كلامه رحمه الله تعالى ورضي عنه

تالله لو عاش الفتى من عمره	الفا من الاعوام مالك امره
متلذذا فيها بكل لذيذة	متنعما بالعيش مدة دهره
لا يعتريه السقم في اوقاته	كلا ولا خطر الهموم بفكره
وصفت له الايام حتى انه	لم تنطق الاصوات عند مقره
ما كان ذلك كله مما يفي	بمبيت اول ليلة في قبره

فاذا كان الامر هكذا فيجب على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يخلف الدنيا وراء ظهره ولا يلتفت الى شهواتها الكاذبة ولذاتها المنغصة وامتعتها الفانية الزايلة وان يرضى من الدنيا بالقوت من الطعام وبالغمض من المنام وبالحاجة من الكلام وان يجعل ديدنه ذكر الله على الدوام مع العزلة عن الانام

فمن قطع مسافة عمره بذلك فهذا هو العبد السعيد الموفق المحب المحبوب وهذا هو الذي تخرج روحه الزكية الراضية المرضية بسهولة وارغد عيش وانشراح صدر وسرور قلب ولا يدري ما الموت وكيف هو الموت بل لا يدري الا انتقالا من اسفل السافلين الى اعلى عليين ولا تخرج روحه حتى يبشر الى مكانه ومنزله الذي هو ارفع من مكان اكبر ملك من ملوك الدنيا فيرى ما تقر به عينه من فضل سيده الكريم من الترحيب والاكرام والسرور والانعام ما لا يحيط به وصف الواصفين ويكون في زيادة من ذلك في كل يوم الى ان يدخل الجنة فيرى حينئذ ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)